صندوق البريد

السندباد المصري .. والقومية العربية

*

لم يقع بين يدي كتاب « سندباد مصري » لمؤلفه حسين فوزي ، حتى احكم له او عليه ، ولست اريد في هذه الكلمة ايضا ان افعل ذلك . وانما سأتعرض ـ بشيء من الايجاز ـ الى ناحيتين : الاولى هي طريقة تقديم الكتب في المجلات : والذي لاشك فيه ان المجلات تقوم بدور ممتاز في تعريف القراء باخر مايصدر من الكتب ، وغالبا مايعتمد القارىء في شراء الكتاب على حكم المجلة لكيلا يغبن في « ثمنه » . وتقع على من يقدم الكتاب تبعة كونه لا يستحق هذا « الثمن » الامر لا يقتصر على مسالة الثمن وحدها بل كثيرا مايعمل « مقدم الكتاب » على اثارة فضول القارىء بعرض الكتاب عرضا جذابا مشوقا ، وغالبا مايهمل هؤلاء « المقدمون » الحكم على الكتاب او له . وتتجلى هذه المحاباة خاصة فيما اذا كان للمؤلف صداقة شخصية او « فكرية » تربطه بمقدم كتابه .

ومما يمكن ان نقدمه « نموذجا » على ماقدمنا من كلام هو « تقديم » كتاب « سندباد مصري » لمؤلفه حسين فوزي . اذ طلعت علينا « الاداب » ومجلة « الشهر » المصرية « عدد اب » بنقد لهذا الكتاب في وقت واحد .

اما الذي قدم الكتاب في « الاداب » فهو الاستاذ « محمد ابراهيم الخالدي ، وقد اشار في اثناء هذا التقديم بصراحة لا مواربة فيها الى « الروح الفرعوني » الذي بثه الكاتب في كتابه . والذي يعتبر فيه العرب « دخلاء » على مصر شانهم شان « الرومان ، والانكليز » وغيرهم . ويعد حكم الفراعنة « الزمن الذهبي » او عصر النور او « الضياء » الذي شمل مصر بلفة مؤلفة الكتاب ، وتكفي هذه الاشارة او هذه اللمحات حتى يدرك قراء « الاداب » (وكلهم غيور على قوميته وعروبته) المعين الذي اغترف المؤلف كتابه منه واللون الذي لونه به . وسيعرفون ان من الخير لكتاب يمجد « جثثا محنطة » عفاها الزمن ان يظل « محنطا » فوق رفوف المكتبات الى ان يبعث الله مفرما مجنونا بحب « المومياء » لكي يقراه فيجد فيه « صورته » و « ضياءه » .

واما الذي قدم الكتاب في مجلة « الشهر » فهو الاستاذ « توفيق حنا » ولست اريد ان اشير الى « مقدار » فهم الاستاذ « حنا » للقومية العربية ، لانني اعرف انه لم يبق بعد من لايعرف ماهي القومية العربية؟! الا اذا كان جاهلا لا يجيد التعريف والتوضيح ، وان كان يعرفها شعورا وحسا وعاطفة . او متجاهلا يدس رأسه في الرمال ويترك جسمه للفح الشمس وهو يعتقد انه قد « توارى » عن الانظار . ولكيلا نتجنى على الاستاذ « حنا » سنضع كلامه الذي قدم به الكتاب امام القارىء بالحرف الواحد : (ص ٥١)

« احب ان اقرر وانا اقدم لك كتاب سندباد مصري للدكتور حسين فوزي ان هذا العمل البطولي الرائع المخلص الصادق الامين هو اول كتاب في موضوعه ـ على قدر علمي ـ بل ان هذا الكتاب يعتبر ثورة في عالم التاريخ لحياتنا ولحضارتنا ولسلوكنا وهو عمل موسوعي مركز قصير وكانه افتتاحية ملحمية لتاريخنا الحقيقي الصحيح المتكامل الواعي . اني احلم دائما ان ارى تاريخ بلادي مكتوبا في مالا يقل عن اربعين مجلدا يتناول هذا التاريخ العظيم من اقدم العصور حتى الان ـ الان التاريخي لا الواقعي ـ وجاء هذا الفنان الشاطر وخطف في عمل واحد متكامل وفي لوحة حائطية رهيبة « كذا » في لمسات رشيقة دقيقة واعية هذا التاريخ.. وهذه الحضارة .. وهذا الشعب الذي صنع التاريخ وقدم للانسانية الحضارة » . هذا الكلام الذي اقل مايقال فيه انه اشبه مايكون بوجد الصوفي منه الى النقد الجاد الرصين . والذي تمنى فيه الاستاذ « حنا » ان يكتب فيه تاريخ بلاده في اربعين مجلدا ، وتاريخ بلاده يعني به الاقليم الجنوبي من الجمهورية « العربية » المتحدة وحده .والضمائر في « حياتنا .. سلوكنا .. الخ » تعود الى العرب المصريين ، وهذا الكلام يهدف الى غاية اعتقد ان القارىء قد وضع يده عليها ، ولا حاجة بنا الى التصريح ان افاد التلميح .

والاستاذ « حنا » يقول : « ان هذا الكتاب اول كتاب في موضوعه ـ على قدر علمي ـ » والموضوع البكر هذا هو اعادة « امجاد » الفراعنة في ثوب زاه لكي « نعيد تلك الحضارة الى الحياة في نفوسنا » كما قال مؤلف الكتاب . ونحن نحب ان نضيف الى « قدر علم » الاستاذ ان هذا الكتاب ليس الاول في موضوعه او ان هناك محاولات سابقة في هذا المضمار سبق اليها المستشرقون والمبشرون ودوائر الاستخبارات الاجنبية والانكليزية خاصة ، ورجل قد « قبرت » عظامه منذ مدة كان يعمل هو ايضا على اعادة الروح الى مومياء « الفراعنة الامجاد » ولا يزال تأثيره واضحا في راس الكثيرين . ولاسيما وقد احاطه الاستعمار بضروب من القاب التفخيم والتعظيم في مجال العلم والثقافة . ولم نذهب بعيدا والمؤلف نفسه يعترف من اين جاءه وحي كتابه : « هو ثمرة محاضرة جيمس هنري برستيد عام ١٩٢٣ او ١٩٢٤ » .

والاستاذ « حنا » يقول : « ان هذا الكتاب ثورة في عالم التاريخ » والقوميون العرب يعرفون بمن هذه « الثورة » ولمصلحة من « هذه الثورة » وفي هذه الظروف التي تجتازها الامة العربية . وهم يعرفون ايضا ثمن « هذا العمل البطولي الرائع المخلص الصادق الامين » الذي زكاه مقدم الكتاب بخمس صفات جمعت اطراف الخير كله .

هذان لونان من الوان تقديم الكتب للناس ـ احببت ان اقدمهما للقارىء ـ وفيهما تتجلى « اهداف » وافكار الذين ينقدون هذه الكتب ويريدون من الناس ان يقراوها . وللقارىء ان يرجع الى المجلتين اذا شاء لكي يستخلص بنفسه مايريد من الاحكام .

والناحية الثانية : وهي ما تحيرني حقا ، ويمتزج فيها الالم بالحيرة، امر هذه الطائفة القليلة من المثقفين التي تعيش في واد ، بينما يعيش الشعب العربي في مصر في واد اخر . والتي تحاول جاهدة ان تضرب بالحقائق عرض الحائط ، وان تتعامى عن رؤية الشمس الساطعة المنيرة. فهم لاجل عدد من الحجارة الضخمة في مصر يريدون ان يقيموا قومية مصرية تستمد روحها واشعاعها من تاريخ الفراعنة المبادين . فهم يقفزون فوق رؤوس القرون السحيقة ليبعثوا تاريخا شاحبا يحاولون ان يبثوا فيه الدم ، وهذا هدف استعماري لاشك فيه . والبرهنة عليه من باب « تحصيل الحاصل » .

ففي هذه المرحلة الحاضرة التي تجتازها الامة لم يجد الاستعمار خيرا من التركيز على هدفين ثقافيين مهمين تعتمد عليهما الامة العربية في معركة الوحدة الشاملة وهما : اللغة العربية ، والتاريخ العربي باعتبارهما اهم مقومات القومية العربية ، والقضاء عليهما قضاء على كل فكرة تنادي بالوحدة الى الابد .

وليعلم هؤلاء السادة ان الارض العربية وبلاد الشام والمغرب العربي. مملوءة احجارا ضخاما وهياكل لاتقل ضخامة عن احجار مصر . فما هو راي هؤلاء السادة في بعث قوميات تشابه مايدعون اليه من دعوات اقليمية ؟ وهذا ماحصل فعلا ، وبصورة اعنف مما يحدث في مصر اذ تعدت هذه الدعوات الطور الثقافي الفكري الى دور التنظيم السياسي العملي.

ولكن الشعب العربي في هذه البلاد كشف اهدافهم الاستعماريةوعزلهم عن مجموع الشعب وازال اكاذيبهم وسحرهم . والشعب العربي في مصر قد اصبح يعرف « نيات » هؤلاء المتفرعنين وسيخلفهم ركب العروبة الظافر في مصر العربية في سراديبهم وهم يبحثون عن « مومياء » جديدة ليضيفوها الى « امجادهم » بينما ينطلق الركب الصاعد ليعمل على تثبيت مكانة الامة العربية تحت الشمس .

طرابلس — محمد حمويه

*

تغيير اخر في الموقف وفاء الشعر !

قرات في « الاداب » الغراء تنبيه الاخ لبيب الصباغ عن تغيير ورد في الطبعة الثانية لقصيدة « المومس العمياء » الصادرة في عام ١٩٥٤ ، وذلك على اثر « فوز » الشاعر بجائزة مجلة « شعر » !! واود ان اضيف ملاحظات اخرى توضح كيف « فاز » السياب بجائزة يوسف الخال !

فلدى مقارنة الطبعة الاولى من قصيدة «الاسلحة والاطفال» الصادرة عام ١٩٥٤ ، بالطبعة الثانية التي ضمها ديوان « انشودة المطر » ـ من منشورات مجلة شعر ! ـ لاحظنا اختلافا كبيرا بين الطبعتين ، وهذا الاختلاف يتضمن حذف بعض الكلمات وابدالها باخرى ، ويتضمن حذف بعض اجزاء القصيدة بصورة نهائية ، ويتضمن كذلك اضافة بعض الاشطر الجديدة . وفيما يلي مواطن الاختلاف وفقا لتسلسلها في القصيدة :

١ ـ حذف الشاعر كلمة « المضحكين » الواردة في الطبعة الاولى، وابدلها بكلمة « الضاحكين » في الطبعة الثانية (انشودة المطر ص ٢٥٩ س ٩)

٢ ـ حذف الشاعر الشطرين التاليين الواردين في الطبعة الاولى :

وارباب وول ستريت القساه
يحيلون حتى حديد السرير

وابدلهما بالشطر الاتي :

ويرتد حتى حديد السرير (انشودة ص ٢٦٢ س ١٥)

٣ ـ اضاف الشاعر الشطر التالي الى قصيدته :

وفي الماء اظلال جسر جديد (انشودة ص ٢٦٤ س ٢)

٤ ـ حذف الشاعر كلمة « الدون » ـ اسم نهر في روسيا ـ واستبدلها بكلمة الكنج ـ اسم نهر في الهند ـ (انشودة ص ٢٧٢ س ٣)

٥ ـ حذف الشاعر الاشطر التالية بصورة نهائية من قصيدته :

واجدى على الارض من ان يبيع
طواغيت وول ستريت الحديد
عشيش جديد

(بعد س ١٧ من ص ٢٧٢ من انشودة المطر)

٦ ـ حذف الشاعر الاشطر التالية من قصيدته ، بصورة نهائية :

ولم تحصد النار حي الزنوج
ولا حج فيه الرصيف الدماء
ولا اجتاحه المجرمون العلوج
بما جرروا من غلاظ الحبال
وما صفدوا من رقاب الرجال
ولا ان مرضى بطاء الليال

(بعد س ٨ من ص ٢٧٤ من انشودة المطر)

٧ ـ حذف الشاعر الاشطر التالية من قصيدته ، بصورة نهائية :

سلام على السيسيبي الكبير
وما طاف في اغنيات الزنوج
بشطيه وانساب عبر البروج
هناك استقل الضياء الاسير
اله الوفى ، مركبا للدمار
يرش الجراثيم حيث استدار
باعجاله القادحات الشرار
ويدمي الشيوخ ، ويصلي الصغار
شآبيب نار
وما شاء من زعزع عاتية
تبيد اللايين في ثانية

(بعد س ٦ من ص ٢٧٦ من انشودة المطر)

٨ ـ حذف الشاعر الاشطر التالية من قصيدته بصورة نهائية :

فقد لاح فجر انطلاق العبيد
وانا رفعنا لواء السلام
رفعناه .. فليخسان الظلام !

وبعد ... لو لم يحذف السياب هذه الاشطر التي تشير الى مشكلةالتمييز العنصريفي الولايات المتحدة،اكان«يفوز»بجائزةيوسفالخال؟ اكان يكلف بترجمة كتاب عن جيفرسون من قبل مؤسسة امريكية ؟ اكان ..

الله وحده هو الذي يعلم ..

السيب — لبيب زيتون

قريبا :

قضايا الشعر المعاصر

بقلم

نازك الملائكة

سلسلة دراسات عن الشعر العربي الحديث ومشكلاته

دار الاداب